موسيقى

الموسيقيون والإدمان

يحتفي كثير من الموسيقيين بإقلاعهم عن تناول الكحول أو المخدرات، بعد سنوات طويلة من الإدمان عليها. إدمان أودى بحياة كثيرين منهم باكراً، بينما استطاع آخرون اللحاق بأنفسهم والتوقف عن تعاطي هذه المواد. لكن، لماذا يخوض الموسيقيون في هذه التجارب القاسية؟

رحل نات كينغ بسبب التهاب الرئة نتيجة تدخينه الشره للتبغ (Getty)

الألم بجرعات كبيرة

علي موره لي

وكأنّ القرار أتى كعهدٍ أريدَ له أن يسري بدءاً بالرابع من يوليو/ تموز، أي يوم الاستقلال في الولايات المتحدة الأميركية. ففي اليوم الذي يليه، الخامس من يوليو لهذا العام ومن حسابها على «إنستغرام» أعلنت صديقة عازف الغيتار الكهربائي النجم سلاش Slash، عضو فرقة الـ غنز -آند- روزس Guns'n Roses الشهيرة لموسيقى الهارد روك، عن إتمام صديقها خمس عشرة سنة متتالية، امتنع فيها عن تناول الكحول والمخدرات.

في تقرير أعدته سنة 2015 إدارة الخدمات الصحية الأميركية المتعلقة بمسائل الإدمان والصحة العقلية Substance Abuse and Mental Health Services Administration، أشارت من خلاله إلى الاستهلاك الزائد للكحول كواحد من أخطر أنواع الإدمان وأكثرها انتشاراً بين المشتغلين في الصناعة الفنية؛ إذ أقرّت نسبة العشر من بينهم بتناول الكحول على نحو زائد. أما نسبة المدمنين على المخدرات المحظورة فتتجاوز الـ 13%.

على مدار العام، عانت نسبة الـ 12% من بين الفنانين الأميركيين اضطرابات ناتجة عن الإدمان على المخدرات أو الكحول؛ نسبة تُعد الثالثة لجهة الارتفاع بين شرائح المجتمع المختلفة. من جهة أخرى، فإنّ عدد الوفيات من بين مشاهير الفن، وذلك بحسب دراسة كان قد نشرها موقع «سياسات العلاج والمنع من سوء استخدام العقاقير والمواد الكيميائية» Substance Abuse Treatment، and Prevention Policy، قد بلغ في الفترة بين عامي 1970 و2015 الثلاثمائة وفاة. أكثر من 36% كانوا من الموسيقيين.

حكاية الموسيقيين مع الإدمان قديمة قدم الموسيقى، إذ إنّ الكحول والمخدرات رافقت أسماءً تألقت عبر التاريخ. يُقال إنّ العبقري الخالد لودفيغ فان بيتهوفن، وهو على فراش الموت قد علق متلعثماً: «واأسفاه، قد جاء متأخراً» وذلك لمّا رأى صندوقاً من زجاجات النبيذ، كان قد أرسل هديةً من قبل ناشر أعماله. عقب رحيله، أجري تشريح كبد الموسيقار، ليظهر أن تليّفاً أصابه جراء اجتراعه الزائد من الكحول. حتى أنّ أعمالاً موسيقية بعينها، ارتبطت بالمخدرات، ظروفاً وموضوعات. أشهرها ربما السيمفونية الفانتازيّة للمؤلف الفرنسي هيكتور برليوز (Hector Berlioz، 1803-1869) التي جسدت مشهديات ذاتية أقرب إلى الهلوسات، يُعتقد أنّ المؤلف قد عاشها بنفسه تحت تأثير الأفيون، المخدر الأكثر رواجاً في عصره. في رسالة لوالده، يصف برليوز حالته النفسية؛ إذ يقول: «أرى نفسي في مرآة. عادة ما أختبر أشد الانطباعات خرقاً للطبيعة، والتي لا تستطيع أن تمدّني بأيّ فكرة؛ إحساسٌ شبيه بذلك الذي يُحدثه الأفيون».

> طبيعة عمل الموسيقيين ربما تفرض تناول أدوية فيها مواد مخدرة

خلافاً لما يمتع به عمالقة كبار في عالم الجاز، كالراحل مايلز ديفيس Miles Davis وهيربي هنكوك Herbie Hancock، من قدرة على التعامل مع مشكلات الإدمان بشيء من السيطرة النسبية والإمساك بزمام الأمور المتعلقة بالعمل والإنتاج الفني، فإنّ العديد من أساطير الجاز كانوا قد قضوا نتيجة للكحول والمخدرات، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

نات كينغ كول (Nat King Cole، 1919–1965) مغني الجاز الأشهر في حقبة الخمسينيات، بقدر ما نُسبت خامة صوته الأجش إلى تدخينه الشره، بقدر ما كان الاستهلاك المسهب للتبغ سبباً في وفاته بالتهاب الرئة.

تشارلي باركر Charlie Parker 1920-1955 عازف الساكسفون الأشهر في جنس الهيب هوب كان قد خاض صراعاً مريراً مع الإدمان على الهيروين، إذ نُقل إلى المستشفى مرات عدة، ورفض عدد من نوادي الموسيقى دعوته إلى العزف، إلى أن انهار مرة وحاول قتل نفسه، قبل أن تقتله نوبة قلبية وهو في الرابعة والثلاثين.

أما موسيقيو البوب والروك أند رول؛ فحدّث ولا حرج، آخر الضحايا وأشهرهم هو الأسطورة برنس Prince 1958-2016؛ ففي سن السابعة والخمسين سقط برنس في داره ميتاً بعد تناوله جرعة زائدة من مسكن الآلام أفيوني التركيب والمسمى بـ«فانتانيل»، واحد من جملة عقاقير مسكّنة أثار وصفها المسرف وغير المسؤول من قبل الأطباء في الولايات المتحدة جدلاً واسعاً على مستوى الأمة، أفضى أخيراً إلى سلسلة من الملاحقات القانونية والغرامات المكلفة طاولت الشركات المنتجة. قبل برنس، راحت قامات عالية ومواهب فريدة ضحية مواد مُكيفة للعقل شبيهة، كالهيروين والكوكايين.

من بين أهم العوامل التي تجعل الموسيقيين عرضة للإدمان بأشكاله، هو الحساسية العالية والضغط النفسي اللذان يُميزان أجواء العمل الفني. الأنا لدى الفنان هي بمثابة رأسماله. بها يخلق أعماله. وعليه؛ فإنّ بروزها عارية في واجهة معترك الحياة يجعلها هشة عرضة للانكسارات المتتالية والصدمات، إزاء اتساع الهوة بين واقعية العالم المادي وسرمدية الخيال الإبداعي. إضافة إلى ألق الشهرة، التي قد يُحجب ضوؤها عن الفنان، تلك النواظم الصغرى والقوانين العملية البسيطة التي تُسيّر العيش، من إدارة الموارد المالية وتنظيم المواعيد اليومية، إلى الواجبات الاجتماعية والالتزامات الأسرية.

العامل الثاني هو سعة الاهتمام الذي يحظى به الفنانون من قبل الشرائح الاجتماعية المختلفة، بسبب فرادة النشاط الذي يشتغلون به والغموض الذي يكتنف سيرورة الإبداع. الأمر الذي يُكبّر ممارساتهم المضرّة وسلوكياتهم الخاطئة في منظور عدسة العبقرية والجنون التي من خلالها يرصدهم الناس، مستهلكين أخبارهم وفضائحهم في ثقافة رأسمالية تستفيد من تسليع حيوات المشاهير.

في الفصل المعنون بـ «الشخصية والضغوط النفسية لدى المؤدين» من كتابه «سيكولوجية فنون الأداء» يُعلق كاتبه مغني الأوبرا وعالم النفس، غلين ويلسون، قائلاً في هذا الصدد: «لا تعد المشكلات الشخصية للمؤدين بأيّ حال من الأحوال أكبر من تلك المشكلات الخاصة بأي شخص آخر. كلّ ما في الأمر هو أنّه يتم تسليط الضوء على هذه المشكلات الخاصة بهم على نحو قوي، وذلك لأنّها (المشكلات) تجعل المؤدين أكثر إثارة للاهتمام».

ثالثاً، عادة ما تعجز العامة، أمام وهج النجومية والاستعراض الصادر عن خشبة المسرح، عن لمس شدة الآلام الهيكلية والعضلية ذات المنشأ المهني والمتعلقة بالأداء الفني والموسيقي. من حملٍ لبعض الآلات على الكتف، أو رفع بعضها الآخر بالأذرع والأيدي، وحتى الأصابع، ناهيك عن الجلوس أو الوقوف لساعات طويلة في وضعيات شاذة تستدعيها طبيعة الاستحواذ على بعض الآلات، إضافة إلى التشنجات والتقلصات التي تنتج عن الانفعال والتعبير الفني أثناء سير الأداء.

بعيداً عن العقاقير

بعيداً عن الوصفات المسكنة وسائر العقاقير، فإنّ أفضل سبل التعامل مع مجمل تلك الضغوط النفسية والبدنية، يكمن بعدم إهمال الجانب السيكولوجي والفيزيولوجي من كليّة الفعل الإبداعي. جانبٌ، يتطلب صيانة مستمرة ومنهجية تقوم على التغذية السليمة والرياضة الروحية أولاً، كالتأمل وممارسة تمارين الاسترخاء، والفيزيائية ثانياً بأنواعها، مثل اليوغا الحديثة والسباحة والجري.

أخبار

أصدرت المغنية الفرنسية **ماتيلدا غيرنر**، المعروفة باسم Hoshi، ألبوماً جديداً بعنوان Étoile flippante (نجم زاحف)؛ وهو الإصدار الثالث في مسيرة النجمة، التي تعتبر واحدة من أكثر الشخصيات جدلية في عالم الموسيقى الفرنسية حالياً.

في التاسع والعشرين من الشهر، تقيم فرقة **أوبرا الإسكندرية للموسيقى والغناء العربي** على خشبة مسرح سيد درويش عرضاً، عند الثامنة مساءً. تقدّم مجموعة من أعمال محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي ومحمد القصبجي.

في الثالث والعشرين والرابع والعشرين من الشهر الجاري، يستضيف «مترو المدينة» في بيروت، الفنانة المصرية **مريم صالح**، لتقدّم عرضاً غنائياً يحمل عنوان «فرح» ستؤدّي فيه مجموعةً من أعمال المطرب الشعبي المصري، أحمد عدوية.

أخيراً، أتاحت **دار الأوبرا السلطانية** (مسقط)، على قناتها عبر منصة «يوتيوب» مجموعةً من عروضها التي نُشرت على القناة تحت عنوان «مسارات عبر الموسيقى الكلاسيكية»؛ إذ بإمكان الجمهور مشاهدة هذه الحفلات مجّاناً.

تستعيد «ساقية الصاوي»، في القاهرة، الفنان الأميركي/ الإيطالي الراحل، **فرانك سيناترا**، يوم الحادي والعشرين من الشهر الجاري، من خلال عرض يؤدّي فيه المغني غابي بشارة، مجموعةً من أعمال سيناترا.

فرقة Inhaler
ما الذي سيستغرقه الأمر؟

عمر بقبوق

قبل أيام، أصدرت فرقة الروك الأيرلندية Inhaler ألبومها الأول، الذي حمل عنوان It Won›t Always Be Like This. تجدر الإشارة، هنا، إلى أنّ الأغنية التي تحمل اسم الألبوم سبق للفرقة أن طرحتها بتوزيع مختلف عن النسخة الجديدة التي جاءت في الألبوم، وذلك خلال النهج الذي سارت عليه الفرقة منذ انطلقت بشكل فعلي عام 2018، إذ أصدرت منذ ذلك الوقت عشر أغانٍ منفردة، تمكنت من خلالها من أن تقدمَ نفسها بشكل جيد، لتكون بنظر معظم المجلات المتخصصة بالموسيقى حول العالم، من أبرز فرق الروك الواعدة، التي يمكن أن نتخيل من خلالها الجانب المشرق من مستقبل الروك.

لم تكن أغنية It Won›t Always Be Like This أولى الأغاني التي أصدرتها Inhaler، لكنّها أولى الأغاني التي تكتبها. وكانت على الدوام أولى الأغاني التي تفتتح بها الفرقة عروضها الحية. وقد اختارتها Inhaler لتكون الأغنية الافتتاحية في الألبوم أيضاً، في خيار يبدو منطقياً لدى فرقة مدركة لأهمية تكريس إحدى أغنياتها، لتمنحها طابعاً أيقونياً في عالم موسيقى الروك، الذي بات يتمتع ببعض الثبات النسبي، بالمقارنة مع الأنماط الموسيقية الأخرى. فعلياً، تحتوي أغنية It Won›t Always Be Like This على الكثير من العوامل التي تجعلها قابلة لمقاومة عامل الزمن، فهي تملك إيقاعاً بسيطاً ومبهجاً يعلق سريعاً في الذاكرة، كما أنّ كلماتها تبدو طريفة يسهل حفظها وترديدها. علاوةً على ذلك، فقد جرى تسجيلها بتوزيع مميز وأداء متقن، لا يعكس إطلاقاً معدل أعمار أعضاء الفرقة الصغير، الذي لا يتجاوز 20 عاماً.

> تحضر في ألبوم الفرقة بهجة بتنا نفتقدها في أغاني الروك

هذه العوامل تجعل من الأغنية الافتتاحية بداية مثالية لألبوم روك مبهج، لفرقة تغرد خارج السرب تماماً.

يتكون الألبوم من إحدى عشر أغنية، البعض منها يعرفها الجمهور جيداً، فقد سبق للفرقة أن طرحتها بشكل منفرد، مثل أغنيتي My Honest Face، وCheer Up Baby التي حققت أعلى رقم سجلته الفرقة حتى الآن في قوائم الأغاني الأفضل بداية العام الجاري. لكن، في المقابل، يبدو غريباً أنّ بعض الأغاني المنفردة السابقة لم تدرجها الفرقة في الألبوم، لا سيما أغنية We Have to Move On التي ساهمت بشكل كبير بانتشار الفرقة عالمياً وازدياد شعبيتها.

القاسم المشترك الذي يجمع أغاني الألبوم، التي تتسم بالتنوع في المواضيع والأسلوب، هو البهجة التي بتنا نفتقدها في أغاني فرق الروك الجديدة، التي يغلب على نتاجها الرؤى السوداوية للحياة. ذلك ما يجعلك تشعر أثناء الاستماع للألبوم، بأنّ Inhaler قد بحثت في عناصر البهجة بموسيقى الروك الكلاسيكية، ابتداءً من ألفيس بريسلي، الذي يرد اسمه في أغنية My Honest Face، مروراً بفرق وتجارب أخرى مثل Queen وEgales، لتعيد إنتاج هذه العناصر في ألبومها بأسلوب أداء خاص، لتكون ضربات الدرامز هي المتحكم الرئيسي بجسد معظم الأغاني، التي لم تهمل الموسيقى الإلكترونية؛ إذ تطورت بشكل كبير في العقود الأخيرة، لكنّها لم تعطها الأولوية في أيّ حال.

الأمر الذي يبدو لافتاً في الألبوم، أنّ البهجة لا تغيب عنه حتى في الأغاني التي كتبت في ظل جائحة كورونا، التي تبدو صرخات تفاؤل بوجه العالم المظلم؛ ذلك ما نلمسه بشكل واضح في أغنية When It Breaks، التي يرد بها: «ما الذي سيستغرقه الأمر كي تنكسر هذه العاصفة؟ أنت لا تعرف ما الذي لديك حتى تحرم منه. أنا لست خائفاً من الاستدارة لمواجهة الأمر. أثناء نهوضي سيتغير كلّ شيء».

سبق للفرقة أن طرحت بعض أغاني العمل بشكل منفرد (Getty)